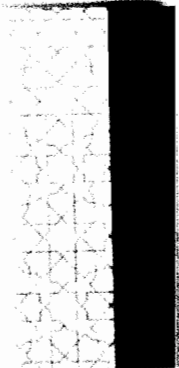


## أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم

د. تركي بن سعد بن فهد الهويمل  
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



**أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم**  
د. تركي بن سعد بن فهد الهويمل  
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

**ملخص البحث:**

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، المقدمة وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث.

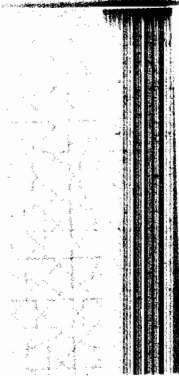
التمهيد: وفيه الحديث عن طريق معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم.

الفصل الأول: وفيه الأقوال الواردة في أول ما نزل من القرآن الكريم، دراستها، والترجيح بينها.

الفصل الثاني: وفيه الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم، دراستها، والترجيح بينها.

الفصل الثالث: فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم.

ثم الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث، ثم الفهارس العامة للبحث.



## مقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن موضوعات علوم القرآن الكريم كثيرة جداً، تعرض لها العلماء والباحثون بالدراسة والعناية، فألفت المؤلفات، وصنفت الموسوعات، وأفرد بعضها بالتأليف، وخص البعض الآخر بالتصنيف لأهميتها وحاجة الناس إليها وهكذا...

ومن المباحث التي تعرض لها علماء التفسير وعلوم القرآن معرفة أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل، فقد اهتم الباحثون عموماً، والعلماء خصوصاً بمعرفة أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل، وكثرت الأقوال، وتعددت الآراء حول هذا الأمر على نحو قد يتعذر على المحقق والباحث الجزم بتقديم قول على آخر.

ولئن كان الخلاف على أول ما نزل من القرآن الكريم ينحصر في صدر سورتين هما سورة العلق، وسورة المدثر فإن الإشكالية في آخر ما نزل من القرآن الكريم أوسع من ذلك بكثير.

ومن المهم - أيضاً - بيان طريق معرفة هذا النوع من أنواع علوم القرآن الكريم وكيفية الوصول إليه، وبيان الأثر المترتب عليه، وذكر أقوال أهل العلم الواردة فيه، ودراستها والترجيح بينها، وذكر فوائد معرفة هذا النوع.

ولما كان الموضوع بهذه المثابة والمكانة جاءت هذه المحاولة للإسهام في دراسة هذا الموضوع بعنوان: أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم، خدمة لكتاب الله - عز وجل - ورغبة في إضافة علمية للباحثين والمهتمين، أسأل الله التوفيق والسداد، والهدى والرشاد، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

## خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة على النحو الآتي:  
المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث.  
تمهيد: وفيه الحديث عن طريق معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم.  
الفصل الأول: الأقوال الواردة في أول ما نزل من القرآن الكريم، دراستها، والترجيح بينها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أقوال العلماء في أول ما نزل من القرآن الكريم.  
المبحث الثاني: دراسة الأقوال الواردة في أول ما نزل من القرآن الكريم.  
المبحث الثالث: الترجيح بين الأقوال الواردة في أول ما نزل من القرآن الكريم.  
الفصل الثاني: الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم، دراستها، والترجيح بينها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أقوال العلماء في آخر ما نزل من القرآن الكريم.  
المبحث الثاني: دراسة الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم.  
المبحث الثالث: الترجيح بين الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم.  
الفصل الثالث: فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم.  
الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث.  
ثبت المصادر والمراجع.

## المنهج المتبع في البحث:

الغرض في هذا البحث الحديث عن أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق، أي: بالنسبة للقرآن كله، فهذا هو المقصود دون غيره. وقد ورد في ثنايا البحث ذكر الأقوال الواردة في أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم دراستها والترجيح بينها، وفوائد معرفة هذا النوع من أنواع علوم القرآن الكريم.

لكت فيه طريق أهل التفسير وبعض المؤلفين في علوم القرآن الكريم دون الحديث عن العلوم المرتبطة به في ذكر أنواع أخرى، أو ذكر أوائل مقيدة، أو مخصصة بمكان أو زمان أو شأن آخر من السور والآيات القرآنية، وكذلك في ذكر آخر ما نزل. فهذا يحتاج إلى مزيد بحث ونظر في ثبوتها، ومناسبة ذكرها، أو التعبير بهذه المصطلحات المذكورة، ولتعذر الإحاطة بما كتب، وصعوبة جمع كل متفرق، فهو يحتاج إلى مؤلف خاص تركت الحديث عنه، والله المستعان على كل حال<sup>(١)</sup>.

وقد سرت في الكتابة حسب المنهج التالي:

- ١- عزو الآيات القرآنية، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.
- ٢- خرجت الأحاديث مكثفياً بالصحيحين أو أحدهما، فإن لم يكن فحسب ما ييسر من كتب السنة، مع ذكر حكم أئمة الحديث المتقدمين والمتأخرين، إن تيسر ذلك.
- ٣- خرجت الآثار وعزوتها إلى أصحابها، دون توسع في ذكر مصادرها.
- ٤- جمع الأقوال الواردة في أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم، ودراستها، والترجيح بينها.
- ٥- بيان معاني الكلمات الغريبة.
- ٦- ترجمة الأعلام غير المشهورين.

---

(١) ومن ذلك على سبيل المثال: قول السيوطي في الإتقان (١/١٦٧، ١٧٢) أول ما نزل في الخمر، أول ما نزل في القتال، أول ما نزل في الأطعمة... إلخ. وقول الزرقاني في مناهل العرفان (١/١٠٧) "مثلان من أوائل وأواخر مخصوصة... إلخ، ومنه أيضاً: أول ما نزل بمكة، وآخر ما نزل بها... وأول ما نزل من سورة كذا وآخر ما نزل منها...".





#### تمهيد:

وفيه الحديث عن طريق معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم.  
إن الطريق إلى معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم مداره على النقل الصحيح عن الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين عايشوا الوحي، وشاهدوا التنزيل، وسمعوا وصحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بعد ذلك من تبعهم ونقل عنهم، وليس للعقل مجال فيه إلا بالجمع بين تلك الروايات الواردة التي ظاهرها التعارض، أو الترجيح بين الأدلة حيث لا يمكن الجمع، وذلك حسب قوة الدليل وصحته.  
يقول الزرقاني<sup>(١)</sup> في هذا الشأن:

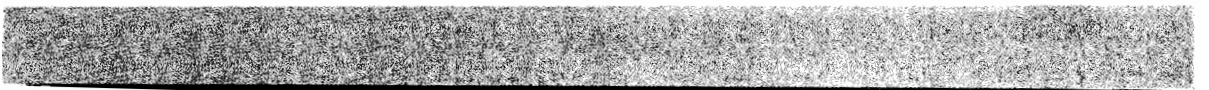
”مدار هذا المبحث على النقل والتوقيف، ولا مجال للعقل فيه إلا بالترجيح بين الأدلة، أو الجمع بينها فيما ظاهره التعارض منها“<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

---

(١) هو محمد بن عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر، تخرج في كلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث وغيرها من العلوم، توفي بالقاهرة سنة (١٣٦٧هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٢١٠/٦).

(٢) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (٩٢/١).



## الفصل الأول

الأقوال الواردة في أول ما نزل من القرآن الكريم دراستها والترجيح بينها.

المبحث الأول: أقوال العلماء الواردة في أول ما نزل من القرآن الكريم

ذكر أهل العلم عدة أقوال في أول ما نزل من القرآن الكريم مطلقاً، ولعل من أهمها وأشهرها الأقوال الآتية:

### القول الأول:

أول ما نزل من القرآن الكريم صدر سورة العلق، قال تعالى: ﴿أَفْرَأَى بِأَسْمَارِكَ اللَّيْلُ خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَمْ أَرَأَى أَنْ يَكُونَهُ ③ أَلَدَىٰ عَلَىٰ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ [سورة العلق: ١-٥]. وهذا القول مروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد<sup>(١)</sup>، وقتادة<sup>(٢)</sup> وغيرهم، وهو المشهور في أغلب أقوال أهل العلم كما سيأتي بيانه في حديث عائشة - رضي الله عنها -<sup>(٣)</sup> في أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي<sup>(٤)</sup>.

### القول الثاني:

أول ما نزل من القرآن الكريم سورة المدثر، وهذا القول مروى عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -<sup>(٥)</sup> وسيأتي المزيد في بيانه - إن شاء الله تعالى -<sup>(٦)</sup>.

---

(١) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي مولى بني مخزوم، ولد في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - فأكثر، وروى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وغيره، توفي سنة (١٠٢هـ) وقيل غير ذلك، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٤٣/٥)، وسير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩)، وطبقات المفسرين للدوادني (٢/٢٠٥).

(٢) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري، الأكمه المفسر الحافظ، روى عن بعض الصحابة - رضي الله عنهم - كان إماماً في الحديث والتفسير، وكان يضرب به المثل في قوة الحفظ والذاكرة، توفي في الطاعون بواسط سنة (١١٧هـ) وقيل: (١١٨هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ (١/١٢٢)، وتهذيب التهذيب (٣/٤٢٨)، وطبقات المفسرين للدوادني (٢/٤٧٧).

(٣) سيأتي تخريجه في دراسة الأقوال.

(٤) ينظر: جمال القراء للسخاوي (١/٥)، والمرشد الوجيز لأبي شامة (ص ٣١)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٢٩٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٥)، وكتاب التسهيل لابن جزي (١/٤)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/١٥٨)، والزيادة والإحسان لابن عقيلة (١/١٦٦)، والتجوير في علم التفسير للسيوطي (ص ٨٩).

(٥) سيأتي تخريجه في دراسة الأقوال.

(٦) ينظر: جمال القراء للسخاوي (١/٧)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٢٩٣)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/١٦٦)، والزيادة والإحسان لابن عقيلة (١/١٧٤)، وينظر للزيادة - أيضاً - زاد المسير لابن الجوزي (١/٥)، وكتاب التسهيل لابن جزي (١/٤).

### القول الثالث:

أول ما نزل من القرآن الكريم سورة الفاتحة (فاتحة الكتاب). قاله بعض المفسرين<sup>(١)</sup>، وسيأتي بيانه في دراسة الأقوال الواردة في أول ما نزل من القرآن الكريم.

### القول الرابع:

أول ما نزل من القرآن الكريم البسملة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وهذا القول مروى عن الحسن<sup>(٢)</sup> وعكرمة<sup>(٣)</sup> وغيرهما<sup>(٤)</sup>. وسيأتي المزيد من البيان في دراسة الأقوال الواردة في أول ما نزل من القرآن - إن شاء الله تعالى -.

\* \* \*

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (٧٧٥/٤)، وقال: "وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل...". وهذا القول فيه نظر. - كما سيأتي - وينظر للزيادة: أسباب النزول للواحدي (ص ١٩)، وكتاب التسهيل لابن جزي (٤/١)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٦٣/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٨/١).  
(٢) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، ولد بالمدينة في آخر خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - روى عن خلق من الصحابة - رضي الله عنهم - من أهل العلم والعمل والفضل في زمانه، وكان مفتي البصرة، وله مناقب كثيرة، توفي سنة (١١٠هـ)، ينظر: معرفة القراء الكبار (١٦٨/١)، وسير أعلام النبلاء (٥٦٣/٤)، وطبقات المفسرين للداودي (١٥٠/١).  
(٣) هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري المدني الهاشمي مولى ابن عباس - رضي الله عنهما - أخذ عن ابن عباس وأفتى في حياته، قال عنه الشعبي: "ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة"، توفي سنة (١٠٧هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ (٩٥/١)، وتهذيب التهذيب (١٣٤/٣)، وطبقات المفسرين للداودي (٣٨٦/١).

(٤) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٥/١)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٦٥/١)، وقال: "وأخرج الواحدي بإسناده عن عكرمة والحسن قالا: أول ما نزل من القرآن: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وينظر للزيادة: جامع البيان للطبري (١١٦، ١١٥/١)، وأسباب النزول للواحدي (ص ١١)، والدر المنثور للسيوطي (٦/١)، ونزول القرآن الكريم، للدكتور: محمد الشايع (ص ٨٧).



الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطّني<sup>(١)</sup> حتى بلغ مني الجهد<sup>(٢)</sup>، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قال قلت: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ<sup>(٣)</sup> خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ<sup>(٤)</sup> اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ<sup>(٥)</sup> الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ<sup>(٦)</sup> عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق: ١-٥] فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره<sup>(٧)</sup> حتى دخل على خديجة فقال: (زملوني زملوني) فزملوه حتى ذهب عنه الروع. ثم قال لخديجة: (أي خديجة! مالي) وأخبرها الخبر. قال: (لقد خشيت على نفسي) قالت له خديجة: كلا، أبشّر فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله! إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل<sup>(٨)</sup>، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل<sup>(٩)</sup> بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة، أخي أبيها، وكان امرأ تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: أي عم! اسمع من ابن أخيك، قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا

(١) فغطّني: بغين معجمة وطاء مهملة. والغطّ: العصر الشديد والكبس. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (غطط) (ص ٦٧٣).

(٢) الجهد: روي بالفتح والنصب، أي: بلغ مني غاية وسعي. وروي بالضم والرفع أي: بلغ مني الجهد مبلغه. ينظر: فتح الباري (٣٣، ٣٢/١).

(٣) ترجف بوادره: بفتح الباء الموحدة، ومعنى ترجف ترعد وتضطرب، وأصله شدة الحركة. قال أبو عبيد وسائر أهل اللغة والغريب: وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تضطرب عند فزع الإنسان. ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي (المنهاج) (٣٧٦/٢).

(٤) الكلّ: هو بالفتح: الثقل من كل ما يتكلف. والكلّ: العيال. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (كلل) (ص ٨١١). وفي فتح الباري (٣٣/١): "والكل بفتح الكاف: هو من لا يستقل بأمره كما قال تعالى: ﴿وَمَوْكَلًا مِّنْهُمْ﴾ [سورة النحل: ٧٦] فقد وصفت خديجة - رضي الله عنها - النبي صلى الله عليه وسلم بأصول مكارم الأخلاق".

(٥) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، ابن عم خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. ذكره الطبري، والبلغوي وغيرهم في الصحابة، وقال بعضهم: في إثبات الصحبة له نظر. توفي سنة (١٢) قبل الهجرة. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣٢٨، ٣٢٩).

الناموس<sup>(١)</sup> الذي أنزل على موسى صلى الله عليه وسلم، يا ليتني فيها جذعاً! يا ليتني أكون حياً حين يُخرجك قومك! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَوْمُخِرْجِي هُمْ؟) قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا<sup>(٢)</sup>.

فحديث عائشة - رضي الله عنها - في الصحيحين وغيرهما، وفيه دلالة واضحة على أن أول ما نزل من القرآن الكريم هذه الآيات المباركات - يعني صدر سورة العلق - وذلك حين جاءه الملك وهو في غار حراء فرجع بها إلى خديجة - رضي الله عنها - يرتجف فؤاده، وفي رواية أخرى: ترجف بوادره.

وفي أول الحديث - أيضاً - قول عائشة - رضي الله عنها - "أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبَّ إليه الخلاء، فكان يأتي غار حراء، فيتحنَّث فيه الليالي ذوات العدد... حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه قال: (اقرأ) ... ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿مَا تَرَىٰ﴾ [سورة العلق: ١-٥]... الحديث"، ووجه الدلالة في هذا الحديث لا تخفى، والعلم عند الله.

ومن أدلة القائلين بهذا القول - أيضاً - ما أخرجه الحاكم<sup>(٣)</sup> والبيهقي<sup>(٤)</sup> وصححاه عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "أول سورة نزلت من القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ولعل مرادها بالسورة هنا صدر سورة العلق - يعني الآيات الخمس الأولى من سورة العلق - وإلا فباقي السورة نزل بعد، كما تدل عليه رواية الصحيحين<sup>(٥)</sup>.

(١) الناموس: بالنون والسين المهملة، وهو جبريل عليه السلام، قال أهل اللغة وغريب الحديث: الناموس في اللغة صاحب سر الخير، ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي (المنهاج) (٢/٣٧٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٢٢٠)، كتاب التفسير، أول سورة نزلت ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وللحديث شواهد أخرى تقوى بها.

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل، جماع أبواب المبعث، باب أول سورة نزلت من القرآن وقال: "هذا إسناد صحيح".

(٤) ينظر للزيادة: جامع البيان للطبري (٢٤/٥٣٠)، وفي بعض رواياته: "إن أول شيء أنزل من القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾"، الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (١/١٥٩)، والمدخل لأبي شهبه (ص ١٠٣).

ومن أدلتهم - أيضاً - ما روي عن أبي رجاء العطاردي<sup>(١)</sup> قال: "كان أبو موسى يُقرئنا فيجلسنا حلقاً، عليه ثوبان أبيضان، فإذا تلا هذه السورة: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ قال: هذه أول سورة أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>(٢)</sup>.

ووجه الدلالة في هذا الأثر المذكور قوله: "فإذا تلا هذه السورة ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ قال: هذه أول سورة أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم". ولعل المراد - أيضاً - أول السورة الكريمة كما ورد في رواية الصحيحين.

ومما يستدل به - أيضاً - ما روي عن عبيد بن عمير<sup>(٣)</sup> قال: "جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: (اقرأ)، قال: (وما أقرأ؟ فوالله ما أنا بقارئ). فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، فكان يقول: هو أول ما نزل"<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية أخرى: عن عبيد بن عمير قال: "جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بِنَمَطٍ"<sup>(٥)</sup> فقال: (اقرأ)، قال: (ما أنا بقارئ). قال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ فيرون أنها أول سورة نزلت من السماء"<sup>(٦)</sup>.

(١) هو عمران بن ملحان، ويقال: ابن تيم، أبو رجاء العطاردي البصري. أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره. روى عن الصحابة - رضي الله عنهم - قال ابن معين، وأبوزرعة: ثقة. توفي سنة (١٠٥هـ) تقريباً. ينظر: تهذيب التهذيب (٣/٣٢٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/٢٥٣).

(٢) الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب التفسير (٧/١٢٩)، وقال: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح"، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٢٢٠)، كتاب التفسير، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبه في مصنفه (١٠/٥٤٢)، كتاب فضائل القرآن، باب أول ما نزل من القرآن وأخر ما نزل، وأورده السيوطي في الإتقان (١/١٥٩) وقال: "أخرجه الطبراني في الكبير بسند على شرط الصحيح عن أبي رجاء العطاردي...". وفي الدر المنثور - أيضاً - (٦/٣٦٨)، وعزاه إلى ابن الأنباري في المصاحف والطبراني وابن مردويه.

(٣) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي المكي، الواعظ المفسر، من ثقات التابعين، حدث عن كبار الصحابة - رضي الله عنهم - توفي سنة (٧٤هـ)، ينظر: تهذيب التهذيب (٣/٣٨)، وسير أعلام النبلاء (٤/١٥٦، ١٥٧)، وتذكرة الحفاظ (١/٥٠).

(٤) الأثر أورده ابن أبي شيبه في مصنفه (١٠/٥٤١)، كتاب فضائل القرآن، باب أول ما نزل من القرآن وأخر ما نزل، والطبري في تفسيره (٤/٥٣٠)، وله شواهد أخرى، وأورده السيوطي في الإتقان (١/١٦٠) وعزاه إلى سعيد بن منصور في سننه، وينظر للزيادة: الدر المنثور (١٥/٥٢٢، ٥٢٣).

(٥) النمط: ضرب من البسط له خمل رقيق، واحدها: نمط، وجمعها أنماط. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص ٩٤٣).

(٦) الأثر تقدم تخريجه قريباً عن عبيد بن عمير بنحوه، وهو مرسل ويتقوى بشواهد. وينظر للزيادة: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/١٦٠)، وعزاه إلى ابن أشته في كتاب المصاحف، وفي رواية أخرى



وفي رواية - أخرى - أطول من هذه الروايات الواردة عن عبيد بن عمير - أيضاً - قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهراً. وكان ذلك مما تتحنّث به قريش في الجاهلية. وكان يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من شهره كان أول ما يبدأ به إذا انصرف قبل أن يدخل بيته الكعبة، فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى فيه ما أراد من كرامته، - وذلك الشهر رمضان - خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء - كما كان يخرج - حتى إذا كانت الليلة التي أكرمها الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبريل بأمر الله تعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فجاءني وأنا نائم بنمطٍ من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ، فقلت: ما أقرأ؟ فغتنّيتي<sup>(١)</sup> به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أقرأ؟ فغتنّيتي به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع، فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ<sup>(٢)</sup> الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ<sup>(٣)</sup> أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ<sup>(٤)</sup> الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ<sup>(٥)</sup> عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ<sup>(٦)</sup>﴾ فقرأتها ثم انتهى. فانصرف عني، وهبّيت من نومي فكأنما كُتِبَ في قلبي كتاباً، فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل، سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل، فرفعت رأسي إلى السماء، أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صافٍ قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل، فوقفت أنظر إليه فما أتقدم ولا أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي، حتى بعثت خديجة رُسُلها في طلبي، فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني، ثم انصرف عني وانصرفت عنه راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة، فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثتُ

عن الزهري: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بحراء إذ أتى ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [سورة العلق: ١-٥] إلى غير ذلك من الروايات التي ذكرها السيوطي في الإتيان بنحو الروايات المذكورة، والعلم عند الله".

(١) الغتُّ والغَطُّ سواء، والمراد: العصر الشديد والكبس حتى وجدت المشقة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص ٦٦١).

رُسلي في طلبك فبلغوا مكة ورجعوا إليّ. ثم حدثتها بالذي رأيت، فقالت: أبشّر يا ابن عمي واثبت، فوالذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها، وكان قد تنصّر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع. فقال ورقة: قُدُوس، والذي نفسي بيده، لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة، فقول لي له: فليثبت، فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة<sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة في هذه الروايات والآثار المذكورة ظاهرة لا تخفى.

#### القول الثاني:

أول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَيَا أَيُّهَا الْقَاسِمُ ﴿٤﴾ وَالرَّيْزُ فَاصْبِرْ ﴿٥﴾﴾ [سورة المدثر: ١-٥].

وبدل لهذا القول ما رواه الشيخان<sup>(٢)</sup> - واللفظ لمسلم - قال: حدثنا زهير بن حرب، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، قال: سمعت يحيى يقول: سألت أبا سلمة: أيُّ القرآن أنزل قبل: قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فقلت: أو ﴿أَفْرَأْ﴾؟ فقال: سألت جابر بن عبد الله: أيُّ القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فقلت: أو ﴿أَفْرَأْ﴾؟ قال جابر: أحدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فلم أرَ أحداً ثم نوديت، فنظرت فلم أرَ أحداً، ثم نوديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء - يعني جبريل عليه السلام - فأخذتني منه رجفة شديدة، فأتيت خديجة فقلت:

(١) الأثر أورده ابن عقيلة في الزيادة والإحسان (١٦٧/١) وعزاه إلى الكلّاعي، وابن سيّد الناس في سيرتهما عن عبيد بن عمير. وقال ابن سيّد الناس في آخر الباب: "فهذه حالة، وحديث عائشة وغيرها أنه كان في اليقظة حالة ثانية، ولا تعارض لجواز الجمع بينهما بوقوعهما معاً. ويكون الإتيان في النوم توطئة للإتيان في اليقظة". اهـ. قال ابن عقيلة بعد أن نقل كلام ابن سيّد الناس المذكور: "ما ذكره من جواز الجمع بينهما على الوجه المذكور قد تحقق..." وساق بعض الروايات المذكورة في هذا الباب. والعلم عند الله تعالى.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، رقم (٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم (١٦١).

دثروني، فدثروني، فصبوا عليّ ماء، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَذِّرْ ﴿٣﴾ وَيَا بَلَدَ فَطْفِرْ ﴿٤﴾ وَالزُّجْرَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [سورة المدثر: ١-٥]. وفي رواية: "ثم حمي الوحي - بعد - وتتابع".

ووجه الدلالة في هذا الحديث ظاهرة في أن أول ما نزل من القرآن الكريم صدر سورة المدثر. وذلك حين سأل أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، جابر بن عبد الله - رضي الله عنهم - فأجابه كما في الحديث المتقدم.

والتأمل بعين البصيرة يظهر له جلياً إيهام التعارض بين هذين القولين - يعني القول الأول والثاني - في تحديد أول ما نزل من القرآن الكريم، فعلى القول الأول: أول ما نزل من القرآن الكريم صدر سورة العلق، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [سورة العلق: ١-٥]. وعلى القول الثاني: أول ما نزل صدر سورة المدثر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَذِّرْ ﴿٣﴾ وَيَا بَلَدَ فَطْفِرْ ﴿٤﴾ وَالزُّجْرَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [سورة المدثر: ١-٥].

والروايتان عند البخاري ومسلم! وأجيب عن ظاهر هذا التعارض بأجوبة من أحسنها وأقربها في الجمع بين الحديثين، ودفع هذا الإشكال في تحديد أول ما نزل من القرآن الكريم ما ذكره الزركشي<sup>(١)</sup> في البرهان بقوله: "وجمع بعضهم بينها بأن جابر أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكر قصة بدء الوحي، فسمع آخرها ولم يسمع أولها، فتوهم أنها أول ما نزلت؛ وليس كذلك، نعم هي أول ما نزل بعد سورة (اقرأ) وفترة الوحي، لما ثبت في الصحيحين<sup>(٢)</sup> أيضاً عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه: "فبينما أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً من السماء فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين

(١) هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي، العلامة المصنف المحرر، من مصنفاته: البحر في أصول الفقه، والنكت على البخاري وغيرها، توفي سنة (٧٩٤هـ)، ينظر: طبقات المفسرين للدودي (١٥٧/٢)، وشذرات الذهب (٥٧٢/٨)، والدرر الكامنة (١٧/٤).  
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة المدثر، رقم (٤٩٢٥)، وأخرجه في مواضع أخرى بألفاظ متقاربة، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم (١٦١)، وفي رواية: "ثم فتر الوحي عني فترة".

السماء والأرض، فرجعت فقلت: زملوني، زملوني، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَذِّبْ ﴿٣﴾ وَيَا أَيُّهَا فَطَرْتُ ﴿٤﴾ وَالرَّجْزَ فَأَهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [سورة المدثر: ١-٥]، ثم تتابع الوحي:

فقد أخبر في هذا الحديث عن الملك الذي جاءه بحراء قبل هذه المرة، وأخبر في حديث عائشة - رضي الله عنها - بأن نزول: اقرأ كان في غار حراء، وهو أول وحي، ثم فتر بعد ذلك، وأخبر في حديث جابر - رضي الله عنه - أن الوحي تتابع بعد نزول ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فعلم بذلك أن اقرأ أول ما نزل مطلقاً، وأن سورة المدثر بعده، وكذلك قال ابن حبان في صحيحه<sup>(١)</sup>: "لا تضاد بين الحديثين، بل أول ما نزل ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ بغار حراء، فلما رجع إلى خديجة - رضي الله عنها - وصبت عليه الماء البارد، أنزل الله عليه في بيت خديجة - رضي الله عنها -: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فظهر أنه لما نزل عليه: ﴿أَقْرَأْ﴾ رجع فتدثر، فأنزل عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.

ويقول - أيضاً -: "وطريق الجمع بين الأقاويل أن أول ما نزل من الآيات ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وأول ما نزل من أوامر التبليغ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة..."<sup>(٢)</sup>.

وقال السيوطي<sup>(٣)</sup> في الإتيان عند الجمع بين هذين القولين:

"وأجاب الأول عن هذا الحديث - يعني حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - بأجوبة:

أحدها: أن السؤال كان عن نزول سورة كاملة، فبين أن سورة المدثر نزلت بكمالها قبل نزول تمام سورة "اقرأ"، فإنها أول ما نزل منها صدرها<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١٢١/١).

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢٩٤/١، ٢٩٥) بتصرف يسير.

(٣) هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، إمام حافظ مؤرخ، صاحب التصانيف الكثيرة، منها: الدر المنثور، والإتيان، والجامع الصغير وغيرها كثير. توفي سنة (٩١١هـ). ينظر: الضوء اللامع (٦٥/٤)، والكواكب السائرة (٢٢٧/١)، والبدر الطالع (٣٢٨/١).

(٤) القول بأن سورة المدثر أول سورة نزلت بكمالها قبل نزول تمام سورة (اقرأ) فيه نظر. ورواية الصحيحين تدل على صدر السورة فقط وليس السورة بكمالها. ينظر: المدخل لأبي شهبه (ص ١٠٦)، وقال: "هذا الجواب غير مسلم...".

ويؤيد هذا ما في الصحيحين<sup>(١)</sup>.

أيضاً عن أبي سلمة عن جابر - رضي الله عنه - سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: "فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فذرّوني، فأُنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينُ﴾".  
فقوله: "الملك الذي جاءني بحراء" يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾.  
ثانيها: أن مراد جابر - رضي الله عنه - بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة.

ثالثها: أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار، وعبر بعضهم عن هذا بقوله: أول ما نزل للنبوة: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ وأول ما نزل للرسالة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينُ﴾.  
رابعها: أن المراد أول ما نزل بسبب متقدّم، وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب، وأما "أقرأ" فنزلت ابتداء بغير سبب متقدّم.  
خامسها: أن جابراً - رضي الله عنه - استخرج ذلك باجتهاده، وليس هو من روايته، فيقدّم عليه ما روته عائشة - رضي الله عنها -.  
وأحسن هذه الأجوبة الأول والأخير<sup>(٢)</sup>.

قلت: وما ذكره الزركشي والسيوطي في الجمع بين هذين القولين (الأول والثاني) في بيان أول ما نزل من القرآن الكريم هو أحسن ما وقفت عليه من كلام أهل العلم في دفع هذا الإشكال وموهم التعارض بين الحديثين الصحيحين، والعلم عند الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

---

وينظر للزيادة: المحرر في علوم القرآن للدكتور: مساعد الطيار (ص ٨٠)، وقال: "هذا التخرّيج لا يسلم، لأن السؤال عن أول ما نزل، وليس فيه أول سورة نزلت فيمكن أن يخرج بهذا التخرّيج احتمالاً، والعلم عند الله.  
(١) تقدم تخرّيجه قريباً.

(٢) ينظر: الإتيان في علوم القرآن (١٦٢/١، ١٦٣) بتصرف يسير. وقد ذكر الجواب الرابع عن ابن حجر - رحمه الله - والجواب الخامس عن الكرمانى.

(٣) ينظر للزيادة: جمال القراء للسخاوي (٧/١)، وقال: "وقال جابر بن عبد الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينُ﴾ أول القرآن نزولاً.... وليس في قول جابر ما يناقضه - يعني القول الأول لأن ﴿الْمَدِينُ﴾ من جملة ما نزل أول القرآن".



وقد أجاب العلماء - أيضاً - عن حديث أبي ميسرة - المتقدم - بعدة أجوبة منها:  
الأول: قالوا هذا حديث مرسل، وإن كان رجاله ثقات فلا يعارض حديث عائشة -  
رضي الله عنها - المرفوع.

قال البيهقي<sup>(١)</sup>: "إن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعدما نزلت  
عليه {اقرأ} والمدثر"<sup>(٢)</sup>.

وقال الحافظ ابن كثير<sup>(٣)</sup>: "وهو مرسل، وفيه غرابة وهي كون الفاتحة أول ما  
نزل..."<sup>(٤)</sup>.

وقال الحافظ ابن حجر: "هو مرسل وإن كان رجاله ثقات، والمحفوظ أن أول ما نزل  
{اقرأ يا أيها الذين آمنوا} وأن نزول الفاتحة بعد ذلك..."<sup>(٥)</sup>.

الثاني: جاء في المدخل لأبي شهبه عند هذا القول ما نصه:  
"وليس فيه التنصيص على أن الفاتحة أول ما نزلت، فيجوز - على فرض صحة هذا  
المرسل - أن تكون من أوائل ما نزل، وإلى هذا ذهب البيهقي... والظاهر أن الفاتحة من  
أوائل السور نزولاً كما يفهم ذلك من صنيع المرتبين للسور على حسب نزولها"<sup>(٦)</sup>.

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي النيسابوري، الفقيه الجليل، وهو من أجل أصحاب  
الحاكم. روى عنه الكثير من العلماء، له مصنفات عديدة منها: الأسماء والصفات، وشعب الإيمان،  
ودلائل النبوة، والسنن الكبرى والصغرى، توفي سنة (٤٥٨ هـ). ينظر: طبقات الشافعية للسبكي (٣/٣).

(٢) ينظر: دلائل النبوة (١٥٩/٢).

(٣) هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء، الحافظ عماد الدين، من العلماء الحفاظ، وعمدة أهل  
المعاني والألفاظ، حفظ المتون، وبرع في معرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ، له مصنفات كثيرة  
مشهورة، توفي سنة (٧٧٤ هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (١١٠/١)، وشذرات الذهب  
(٣٩٧/٨).

(٤) ينظر: البداية والنهاية (٢٤/٤)، وينظر للزيادة: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٩٨/١٤)، وجمال  
القراء للسخاوي (١١/١)، والبرهان للزركشي (٢٩٥/١)، وقد نقل عن الباقلاني في الانتصار أن هذا الخبر  
منقطع، والإتقان للسيوطي (١٦٤/١)، وقال: "هذا مرسل رجاله ثقات"، والزيادة والإحسان لابن عقيلة  
(١٧٦/١ - ١٧٧).

(٥) ينظر: فتح الباري (٧١٩/٨، ٩١٩).

(٦) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص ١٠٧) بتصرف يسير.

## القول الرابع:

إن أول ما نزل من القرآن الكريم البسملة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾<sup>(١)</sup> واستدل القائلون بهذا القول بما أخرجه الواحدي<sup>(٢)</sup> بإسناده عن عكرمة والحسن قالا: "أول ما نزل من القرآن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وأول سورة ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾"<sup>(٣)</sup>. وبما أخرجه - أيضاً - ابن جرير الطبري<sup>(٤)</sup> وغيره عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "أول ما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا محمد استعذ ثم قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾"<sup>(٥)</sup>.

ووجه الدلالة في هذا ظاهرة كما لا يخفى. وإن كان في إجابة العلماء على هذا القول ما يردّه، من جهة السند، ومن جهة المراد بالمعنى.

ولعل من أهم ما أجاب به أهل العلم في الرد على القائلين به الآتي ذكره:

أولاً: قال السيوطي في الإتيان بعد ذكر هذا القول:

"وعندي أن هذا لا يعدُّ قولاً برأسه، فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها، فهي أول آية نزلت على الإطلاق"<sup>(٦)</sup>.

(١) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، صاحب التفاسير الثلاثة: البسيط، والوسيط، والوجيز، وغيرها من المصنفات الأخرى، توفي سنة (٤٦٨ هـ). ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (ص ٦٦، ٦٧)، وطبقات المفسرين للداودي (٣٨٧/١).

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص ١١١)، القول في أول ما نزل من القرآن، عن عكرمة والحسن، وقال محققو الإتيان للسيوطي: "في إسناده علي بن الحسين بن واقد، مختلف فيه، ضعفه أبو حاتم وإسحاق بن راهويه، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال ابن حجر: صدوق يهمل. ينظر: التهذيب لابن حجر (٣٠٨/٧)، والتقريب (٦٩٣)، رقم (٤٧٥١)، ومثله يحسن، وله شواهد...".

(٣) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الإمام الحافظ، أحد أئمة العلم، له اختيارات فقهية، وتفرّد بمسائل حفظت عنه، له مصنفات عديدة تدل على غزارة علمه منها: تاريخ الأمم والملوك، جامع البيان وغيرها، توفي سنة (٣١٠ هـ). ينظر: تاريخ بغداد (١٦٢/٢)، ووفيات الأعيان (١٩١/٤)، وتذكرة الحفاظ (٧١٠/٢)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ٨٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٥/١) عن الضحاك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وأخرجه الواحدي - أيضاً - في أسباب النزول (ص ١٧) القول في آية التسمية وبيان نزولها، وقال محققو الإتيان للسيوطي: "وفي إسناده ضعف وانقطاع، فيه بشر بن عمارة الخثعمي وهو ضعيف، وكذا عثمان بن سعيد، مقبول حيث يتابع، والضحاك لم يسمع من ابن عباس - رضي الله عنهما - بل لم يدركه". ينظر: التقريب (١٧٠) رقم (٧٠٣)، والمجروحين (١٨٨/١).

(٥) الإتيان في علوم القرآن (١٦٥/١)، وفي قوله: "فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها..." نظر، فالأحاديث الصحيحة الواردة في بدء الوحي لم تذكر نزول البسملة مع صدرها، والظاهر أنها نزلت بعد عند نزول تمام السورة... ينظر للزيادة: المدخل لأبي شعبة (ص ١٠٧، ١٠٨).



ثانياً: قالوا هذا الاستدلال مردود من ناحيتين:

الأولى: أن الحديث مرسل فلا يناهض المرفوع.

الثانية: أن البسملة كانت بطبيعة الحال تنزل صدرأ لكل سورة إلا ما استثني. إذن فهي نازلة مع ما نزل من صدر سورة (اقرأ)، فلا يستقيم اعتبار الأولية في نزولها قولاً مستقلاً برأسه<sup>(١)</sup>.

ولعل ما ذكر هو الظاهر في الإجابة على هذا القول - يعني القول الرابع - فقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يعرفون انقضاء السورة بنزول البسملة، فقد كانت تنزل صدرأ لكل سورة إلا ما استثني، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن هذه الأحاديث والآثار المذكورة لا تنهض لمعارضة الأحاديث الواردة في هذا الشأن - كما تقدم - في القول الأول والثاني.

وفي قول السيوطي - المتقدم - "وعندي أن هذا لا يعد قولاً برأسه" من الوجهة ما لا يخفى، فليتأمل، والعلم عند الله، وسيأتي المزيد من البيان في الترجيح بين الأقوال الواردة في ذلك.

\* \* \*

---

(١) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (٩٦/١، ٩٧) بتصرف، والمكي والمدني في القرآن الكريم، لعبد الرزاق حسين أحمد (٤٥٢/١).

### المبحث الثالث

#### الترجيح بين الأقوال الواردة في أول ما نزل من القرآن الكريم

من خلال ما تقدم ذكره في الأقوال الواردة في أول ما نزل من القرآن الكريم يظهر جلياً أن الصحيح في أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق هو صدر سورة العلق، قال تعالى: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ أَفَرَأَىٰ رَبَّكَ الْكَافِرُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ [سورة العلق: ١-٥]. وهو الذي عليه أكثر العلماء سلفاً وخلفاً.

والذي أشكل على الكثير في تحديد أول ما نزل من القرآن الكريم هو ظاهر التعارض بين الحديثين الواردين في هذا الباب وهما في الصحيحين.

الأول: حديث عائشة - رضي الله عنها - وهو صريح في أن أول نزول للقرآن الكريم كان في غار حراء، وأن أول ما نزل منه هذه الآيات الخمس من أول سورة العلق. والثاني: حديث جابر - رضي الله عنه - وهو خلاف ذلك، حيث جعل صدر سورة المدثر ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكْذِرْ ۝٣ وَبِإِلَهِكَ فَطَعِزْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝﴾ [سورة المدثر: ١-٥].

وهذان الحديثان في التحقيق من كلام أهل العلم غير متعارضين. فإن حديث جابر - رضي الله عنه - نفسه يدل على عدم التعارض - كما تقدم بيانه - وأن الراجح في أول ما نزل من القرآن على الإطلاق هو قوله تعالى: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ أَفَرَأَىٰ رَبَّكَ الْكَافِرُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ [سورة العلق: ١-٥]. يقول النووي<sup>(١)</sup> في هذا الشأن:

”والصواب أن أول ما أنزل على الإطلاق: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ ۝﴾ كما صرح به في حديث عائشة - رضي الله عنها - وأما ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝﴾ فكان نزولها بعد فترة الوحي، كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر، والدالة صريحة فيه في مواضع، منها قوله: وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال: فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝﴾ ومنها قوله صلى الله

(١) هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعي، الإمام الحافظ، له تصانيف نافعة وماتعة، منها: شرح لصحيح مسلم (المنهاج)، ورياض الصالحين، والمجموع وغيرها، توفي سنة (٤٧٤ هـ)، ينظر: ذيل مرآة الزمان (٢٨٣/٣)، وتذكرة الحفاظ (٢٣٨/١)، وطبقات الشافعية للسبكي (٣٩٥/٨).

عليه وسلم: فإذا الملك الذي جاءني بحراء، ثم قال: فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ومنها قوله: ثم تتابع الوحي، يعني بعد فترته، فالصواب أن أول ما نزل ﴿أَقْرَأْ﴾ وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾. وأما قول من قال من المفسرين أول ما نزل الفاتحة، فبطلانه أظهر من أن يذكر، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

ومما يؤيد ترجيح القول بأن أول ما نزل من القرآن الكريم صدر سورة العلق تنوع عبارات الترجيح لهذا القول عند كثير من أهل العلم في السلف والخلف، ومنها على سبيل المثال:

قولهم: أصح الأقوال، وهو أصحها، وهو الصحيح، والصواب<sup>(٢)</sup>.

وقولهم - أيضاً -: أثبت المنقول، وأثبت الأفاويل<sup>(٣)</sup>.

وقولهم: والذي ذهب إليه أكثر الأمة، وعليه جمهور العلماء سلفاً وخلفاً، والمشهور<sup>(٤)</sup>.

وبالنسبة للقولين الثالث والرابع فقد تقدم القول عليهما بما يغني عن إعادته هنا خشية التطويل والتكرار الذي لا حاجة له، ولعل أقوال أهل العلم في هذا الباب ترجع إلى القولين الأول والثاني دون الثالث والرابع، والعلم عند الله تعالى.

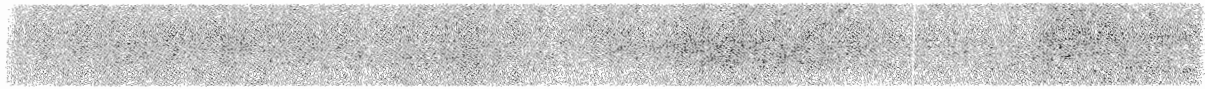
\* \* \*

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/٥٠١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤/١٩٥٤)، وشرح صحيح مسلم (المنهاج) (٢/٢٨٣).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/٥٠١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤/١٩٥٤)، وكتاب التسهيل لابن جزي (١/٤)، والإتقان للسيوطي (١/١٥٨)، والتحبير (ص ٨٩)، والزيادة والإحسان لابن عقيلة (١/١٦٦)، ومناهل العرفان للزرقاني (١/٩٣)، ومباحث في علوم القرآن للقطان (ص ٥٩).

(٣) ينظر: الانتصار للباقلاني (١/٢٤١)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٥).

(٤) ينظر: فتح الباري (٨/٨٦٣)، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه (ص ١٠٤)، وينظر للزيادة: أسباب النزول للواحدي (ص ٢١١)، وجمال القراء للسخاوي (١/٥)، والمرشد الوجيز لأبي شامة (ص ٣١)، وتفسير ابن كثير (١٤/٣٩٨).



## الفصل الثاني

الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم دراستها والترجيح بينها.

المبحث الأول: أقوال العلماء في آخر ما نزل من القرآن الكريم

ذكر أهل العلم أقوالاً عديدة في آخر ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق، ولعل من أهمها وأشهرها الأقوال الآتية:

### القول الأول:

إن آخر ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَنقُضُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٨١]. وهذا القول مروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من طرق كثيرة، وروى عن سعيد بن جبيرة<sup>(١)</sup> وغيره<sup>(٢)</sup>.

### القول الثاني:

إن آخر ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٨].

وهذا القول مروى عن عمر بن الخطاب، وابن عباس - رضي الله عنهما -<sup>(٣)</sup> وسيأتي المزيد من البيان في دراسة الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم إن شاء الله تعالى.

(١) هو سعيد بن جبيرة بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي، يكنى بأبي محمد، ثقة إمام حجة، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي صبراً سنة (٩٥ هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي (١٨١/١).  
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٦٧/٤)، والوسيط للواحدي (٤٠٠/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٤٧/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٠٣/٢)، والدر المنثور للسيوطي (٣٩٠/٣)، وعزاه إلى أبي عبيد (ص ٢٢٤)، وعبد بن حميد، والنسائي في الكبرى (١١٠٥٧)، وابن جرير (٦٧/٥)، وابن المنذر (٦٤)، وابن الأنباري في المصاحف، والطبراني (١٢٠٤٠)، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، من طرق عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، وعزاه إلى ابن أبي شيبه عن السدي، وعطية العوفي مثله، وإلى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة مثله، فهذه الروايات بمتابعتها وشواهداها يقوي بعضها بعضاً، وينظر للزيادة: جمال القراء للسخاوي (١٠/١)، والمرشد الوجيز لأبي شامة (ص ٣١)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٩٧/١)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٧٧/١)، والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة (١٨٠/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في كتاب التفسير (سورة البقرة)، رقم الحديث (٤٥٤٤) قال: "آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية الرابا".

### القول الثالث:

آخر ما نزل من القرآن الكريم آية الدين، وهي أطول آية في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِعَ لَهُ فليُمْلِمْ لَهُ وَلَا يَكْتُبُوا مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْعَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَخِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدَقُّ الْأَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَكَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّحُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢].

وفي هذا القول روايات مرسلّة عن سعيد بن المسيب<sup>(١)</sup> وغيره<sup>(٢)</sup>.

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة (١٣٨/٧)، ما جاء في نزول القرآن، باب آخر سورة نزلت وآخر آية نزلت عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مثله. وفي الإتيان للسيوطي (١٧٦/١) قال: "وأخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: آخر آية نزلت آية الربا". وروى البيهقي عن عمر مثله، والمراد بها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [سورة البقرة: ٢٧٨]. وعند أحمد وابن ماجه عن عمر: "إن آخر ما نزل آية الربا" - رواية ابن ماجه - وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يفسرها لنا. فدعوا الربا والريبة.

وعند ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا عمر، فقال: وإن من آخر القرآن نزولاً آية الربا. ويعضد هذه الرواية ما أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما. وينظر للزيادة: المرشد الوجيز لأبي شامة (ص ٣١)، والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي (١٨٠/١)، ومناهل العرفان للزرقاني (٩٧/١).

(١) هو سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي، أبو محمد، ولد في أول خلافة عمر، وسمع من عثمان وعلي - رضي الله عنهم - وكان من الفقهاء السبعة في المدينة النبوية، توفي سنة (٩٣ هـ). ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨٨/٥)، والتاريخ الكبير (٥١٠/٢)، وسير أعلام النبلاء (٢١٧/٤).

(٢) ينظر: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (١٨٠/١)، وقال: "وأخرج أبو عبيد في الفضائل عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا، وآية الدين". وأخرج ابن جرير من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن عهداً بالعرش آية الدين، مرسل صحيح الإسناد.. وينظر للزيادة: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٩٧/١)، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شعبة (ص ١١٠).

## القول الرابع:

آخر ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُفِيَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَلِذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا تُكْفِرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا تَدْخُلْنَهُمْ جَنَّتْ تَجَرَّى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٥].

وهذا القول مروى عن أم سلمة - رضي الله عنها - فقد أخرج ابن مردويه عن طريق مجاهد عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: "آخر آية نزلت هذه الآية: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ﴾ إلى آخرها" [سورة آل عمران: ١٩٥].

فقد روي عنها أنها قالت: "يا رسول الله أرى الله يذكر الرجال ولا يذكر النساء"، فنزلت: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَكَفَّ اللَّهُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النساء: ٣٢]. ونزلت: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥]. ونزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. فهي آخر الثلاثة نزولاً، أو آخر بعدما كان ينزل في الرجال خاصة. وسيأتي المزيد من البيان - إن شاء الله - في دراسة الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم.

(١) عزاه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٠٦/٣) إلى ابن مردويه - وأيضاً - السيوطي في الدر المنثور (١٨٧/٤). وزاد السيوطي عزوه إلى سعيد بن منصور، وعبد الرزاق، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وغيرهم بلفظ: "قالت: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء". ورواه الطبراني في الكبير رقم (٦٥٠) بنحوه. وقال الحاكم: "صحيح الإسناد على شرط الشيخين إذا كان سمع مجاهد من أم سلمة". ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: "حديث مرسل" وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٢٠٢٢). وينظر للزيادة: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (١٨٥/١)، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٩٨/١)، والمدخل لدراسة القرآن الكريم (ص ١١٤).

#### القول الخامس:

آخر ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَصِيبُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنُهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٩٣].

وهذا القول مروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - فقد أخرج البخاري وغيره<sup>(١)</sup> عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "نزلت هذه الآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [سورة النساء: ٩٣] هي آخر ما نزلت، وما نسخها شيء".

#### القول السادس:

إن آخر ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [سورة النساء: ١٧٦]. وهي خاتمة سورة النساء (آية الكلاله) وهذا القول مروى عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - فقد روى الشيخان وغيرهما<sup>(٢)</sup> عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: "آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [سورة النساء: ١٧٦]. وآخر سورة نزلت براءة".

#### القول السابع:

إن آخر ما نزل من القرآن الكريم سورة المائدة.

وهذا القول مروى عن عائشة - رضي الله عنها - لما أخرجه أحمد والحاكم وغيرهم<sup>(٣)</sup> عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "آخر سورة نزلت المائدة، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه" الحديث.

وروي - أيضاً - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير (سورة النساء)، رقم (٤٥٩٠)، ومسلم في كتاب التفسير رقم (٣٠٢٣).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير (سورة النساء)، رقم (٤٦٠٥)، ومسلم في كتاب الفرائض، رقم (١٦١٨)، والكلالة: من لم يرثه أب أو ابن، وهو مصدر من تكالاه النسب.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٨٨/٦)، والنسائي في تفسير سورة المائدة رقم (١٥٨)، والحاكم في المستدرک (٣١١/٢) في كتاب التفسير. وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وعزاه السيوطي في الإتقان (١٨٢/١) إلى الترمذي ولم أقف عليه عند الترمذي في سننه.



فقد أخرج الترمذي والحاكم<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: "آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح".

#### القول الثامن:

آخر ما نزل من القرآن الكريم خاتمة سورة التوبة، وهذا القول مروى عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - بما رواه الحاكم في المستدرک<sup>(٢)</sup> عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: "آخر آية نزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة التوبة: ١٢٨، ١٢٩) ثم قرأها إلى آخر السورة".

وبما أخرجه أحمد في المسند<sup>(٣)</sup> عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: "آخر آية نزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ثم قرأ إلى ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة التوبة: ١٢٨، ١٢٩) قال: هذا آخر ما نزل من القرآن، فختم بما فتح به، بالذي لا إله إلا هو، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: ٢٥) أي: بدأ الدين بالتوحيد وختم بالتوحيد.

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة رقم (٣٠٦٣)، وقال: "حديث حسن غريب". وذكره الشيخ الألباني في صحيح الترمذي (٢٣٥/٣)، وقال: "حسن الإسناد وصححه الحاكم دون قوله: (والفتح) وروى له شاهداً وصححه - أيضاً - ووافقه الذهبي".

وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣١١/٢) في كتاب التفسير، سورة المائدة، لكن بدون قوله: (والفتح) وصححه على شرط الشيخين، ويشهد له - أيضاً - حديث عائشة - رضي الله عنها - المتقدم قبله.

وقال السيوطي في الإتيان (١٨٣/١) يعني بالفتح: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (سورة النصر).

(٢) المستدرک (٣٣٨/٢) كتاب التفسير، سورة التوبة، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وأخرجه السيوطي في الدر المنثور (٦٠٩/٧) وعزاه ابن أبي شعبة، وابن راهويه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل وغيرهم.

(٣) مسند الإمام أحمد (١٣٤/٥)، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور (٦٠٩/٧، ٦١٠)، وعزاه إلى ابن الضريس في فضائله، وابن أبي داود في المصاحف، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل وغيرهم. وينظر للزيادة: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٩٩/١، ٣٠٠)، والإتيان في علوم القرآن للسيوطي (١٨٢، ١٨١/١).

وفي رواية أخرى عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - أيضاً قال: "آخر القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

وفي لفظ آخر: "أقرب القرآن بالسماء عهداً".

#### القول التاسع:

آخر ما نزل من القرآن الكريم آخر سورة الكهف، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُتْرَكْ يَعْبَادُو رَبَّهُ مَعِدًا﴾ [سورة الكهف: ١١٠]. وهذا القول مروى عن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - فقد أخرج ابن جرير عن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - أنه تلا هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ [سورة الكهف: ١١٠]. وقال: "إنها آخر آية نزلت من القرآن" (١).

#### القول العاشر:

إن آخر ما نزل من القرآن الكريم سورة النصر، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٢].

وهذا القول مروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - فقد أخرج مسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "آخر سورة نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾" (٢). وفي رواية الترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: "آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح" (٣).

قال السيوطي في الإتيان بعد ذكر هذا الحديث: "قلت: يعني ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾" (٤).

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٤٢، ٤٤١/١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٧١٠/٩)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن مردويه عن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه -، وينظر للزيادة: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (١٨٤/١)، وقال: "ومن غريب ما ورد في ذلك - يعني آخر ما نزل - وذكر هذا القول - وسيأتي المزيد من البيان في دراسة الأقوال - إن شاء الله -".  
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التفسير، رقم (٣٠٢٤).  
(٣) تقدم تخريجه قريباً في القول السابع في الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم.  
(٤) الإتيان في علوم القرآن (١٨٣/١).

## المبحث الثاني: دراسة الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم

بعد ذكر الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم يظهر جلياً اختلاف العلماء في تعيين آخر ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق، واستند كل منهم إلى جملة من الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين، وفي هذا المبحث دراسة هذه الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم مع بيان الأدلة والنظر في توجيه ودراسة تلك الأقوال، وبيان الراجح منها الذي يؤيده الدليل حسب المستطاع، والعلم عند الله.

### القول الأول:

آخر ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٨١].

ومستند هذا القول ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - بطرق كثيرة<sup>(١)</sup>، قال: "آخر ما نزل من القرآن: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ ... الآية. وفي رواية: "آخر آية نزلت من القرآن: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ ... الآية. وفي رواية: "آخر ما نزل من القرآن كله: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ ... الآية. وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال، ثم مات يوم الاثنين، ليلتين خلتا من شهر ربيع الأول<sup>(٢)</sup>."

وذكر البغوي<sup>(٣)</sup> في تفسيره عند هذه الآية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له جبريل: ضعها على رأس مائتين وثمانين من سورة البقرة، وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً وعشرين يوماً."

(١) تقدم تخريجه قريباً في الأقوال الواردة في أول ما نزل من القرآن الكريم، وقد روي هذا الحديث من عدة طرق: عن ابن عباس، وابن جبير، وعطية العوفي، وأبي صالح وغيرهم.

(٢) تقدم تخريجه قريباً في الأقوال الواردة في أول ما نزل من القرآن الكريم، وهذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير.

(٣) هو أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، إمام في الفقه والتفسير والحديث، له مؤلفات عديدة، وقد بورك في تصانيفه، ورزق فيها القبول، وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة، توفي سنة (٥١٦هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ٣٨).

وقيل: تسع ليال، وقيل: سبع ليال<sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة في هذه الآثار الواردة ظاهرة لا تخفى، والتي تدل على أن آخر ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَنقَضُوا يَوْمَ تُرْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٨١]. فقد حظي هذا القول بجملة من الآثار، وأقوال أئمة التفسير، لم يحظ بها غيره من الأقوال الأخرى الواردة في هذا الشأن.

وسيأتي المزيد من البيان بعد دراسة القول الثاني والثالث لارتباطهما بهذا القول، والعلم عند الله تعالى.

#### القول الثاني:

آخر ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٨].

ويدل لذلك ما أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "وآخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية الربا"<sup>(٢)</sup>.

وأخرج البيهقي عن عمر - رضي الله عنه - مثله<sup>(٣)</sup>، والمراد بآية الربا هي الآية التي تقدم ذكرها في سورة البقرة: ٢٧٨.

ووجه الدلالة في الأدلة المذكورة - كما تقدم - لا تخفى.

ولعل المراد بأنها آخر آية نزلت في شأن الربا، أو المراد أنها من أواخر الآيات نزولاً، وعليه فليست آخر آية على الإطلاق، ويؤيد ذلك ما جاء في بعض الروايات الواردة في هذا الشأن عن عمر - رضي الله عنه - قال: "من آخر ما نزل آية الربا".

وفي رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: "خطبنا عمر - رضي الله عنه - فقال: إن من آخر القرآن نزولاً آية الربا".

فتكون هذه الآية هي آخر ما نزل في شأن الربا، أو من أواخر الآيات نزولاً وليست آخر ما نزل على الإطلاق، والعلم عند الله تعالى.

(١) معالم التنزيل (٢٤٧/١).

(٢) تقدم تخريجه قريباً في الأقوال الواردة في آخر ما نزل (القول الثاني).

(٣) تقدم تخريجه قريباً في الأقوال الواردة في آخر ما نزل (القول الثاني).

### القول الثالث:

آخر ما نزل من القرآن الكريم آية الدين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى آجَلٍ مِّنْكُمْ فَأَوْفُوا...﴾ الآية، [سورة البقرة: ٢٨٢].

واستدلوا بما أخرجه أبو عبيد في كتاب فضائل القرآن عن ابن شهاب الزهري قال: "آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا، وآية الدين".

وأخرج ابن جرير من طريق ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب: "أنه بلغه أن آخر القرآن عهداً بالعرش آية الدين" وهذا - كما تقدم - مرسل صحيح الإسناد<sup>(١)</sup>. ولعل هذا القول - أيضاً - يدل على أن آية الدين آخر ما نزل في باب المعاملات وليس آية آخر آية على الإطلاق، والعلم عند الله.

وقد جمع السيوطي في الإتيان<sup>(٢)</sup> بين هذه الأقوال الثلاثة المتقدمة فقال: "ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا، وآية ﴿وَأَوْفُوا يَوْمَ تُرْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، وآية الدين، لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنها قصة واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح، وقول البراء: آخر ما نزل ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: في شأن الفرائض...".

وقد تعقب هذا الجمع المتقدم أبو شهبه في المدخل لدراسة القرآن الكريم بقوله: "ومقتضى هذا الجمع من الإمام السيوطي أن آية الدين آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق. ولكني أقول: إن في النفس من هذا التوفيق شيئاً، وما ذكره غير مسلم له، فقد سمعت أنفاً قول الفاروق عمر - رضي الله عنه - في أن آية الربا من أواخر الآيات، لا آخرها؛ واستدل السيوطي بأن الآيات الثلاث في قصة واحدة - غير مسلم - فالآية الأولى في ترك ما بقي من الربا عند المدينين بعد نزول آية التحريم، والثانية في التذكير باليوم الآخر، وما فيه من جزاء، والثالثة في أحكام تتعلق بالدين، فكيف يقال إذا إنها في قصة واحدة!!؟

(١) تقدم تخريجه قريباً في الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم (القول الثالث).

(٢) الإتيان في علوم القرآن (١/ ١٨٠).

ومما يضعف هذا الطريق في الجمع أيضاً، أن آية الربا نزلت لما أسلمت ثقيف وأرادوا أن يستمروا على رباهم، فاشتكى بنو المغيرة - وكانوا مدينين لهم - إلى عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله الآية أمرة لهم أن يتركوا ما بقي لهم من رباهم قبل التحريم، وإلا فليأذنوا بحرب من الله ورسوله، وثقيف إنما كان إسلامهم في رمضان في السنة التاسعة، والظاهر أن هذه القصة كانت بعد إسلامهم، وأين زمن إسلامهم من اختتام القرآن قبيل وفاة الرسول؟!

### القول الرابع:

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٢٠٥).

(٣) تقدم تخريجه في الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم (القول الرابع).

ووجه الدلالة في هذا الحديث تدل على أن هذه الآية آخر آية نزلت، والمتأمل في هذه الرواية يظهر له أن مرادها - والعلم عند الله - أنها آخر آية نزلت في شأن النساء، ويؤيد ذلك قولها فيما روي عنها - رضي الله عنها - أنها قالت: "يا رسول الله، أرى الله يذكر الرجال ولا يذكر النساء....". وفي لفظ آخر قالت: "يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء". فهي آخر ما نزل في شأن النساء، أو آخر بعد ما كان ينزل في الرجال خاصة، والعلم عند الله تعالى.

#### القول الخامس:

آخر ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٩٣].

واستدل القائلون بهذا القول بما رواه البخاري وغيره<sup>(١)</sup> عن ابن عباس - رضي الله عنهما - كما تقدم. قال: "نزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ هي آخر ما نزل وما نسخها شيء".

فهذه الرواية تدل على أن هذه الآية آخر ما نزل وما نسخها شيء. والمتأمل في هذه الرواية يظهر له أنها آخر ما نزل في قتل المؤمن عمداً، فهي آخرية مقيدة كما هو ظاهر.

ويؤيد ذلك قوله في الحديث: "وما نسخها شيء". وبعد النظر في الروايات الواردة في الصحيحين وغيرهما يظهر له جلياً أنها آخرية مقيدة - كما تقدم -.

فقد جاء في رواية عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: "أنها لمن آخر ما أنزلت". وفي رواية: "نزلت في آخر ما أنزل". وفي رواية: "لقد نزلت في آخر ما نزل".

(١) تقدم تخريجه - قريباً - في الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم.

والتأمل بعين البصيرة في ألفاظ وروايات الأحاديث المتعددة والواردة في هذا الشأن على وجه الخصوص يقف على مثل هذه الروايات، ويظهر له جلياً تحديد المراد، والعلم عند الله.

#### القول السادس:

آخر ما نزل من القرآن الكريم (آية الكلالة)، قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [سورة النساء: ١٧٦].

واستدل القائلون بهذا القول بما رواه البخاري ومسلم عن البراء أنه قال: "آخر سورة نزلت (براءة)، وآخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾" (١). ووجه الدلالة في هذا الحديث ظاهرة لا تخفى، ويجاب عنه بأن سورة براءة آخر ما نزل في شأن القتال فهي آخريّة مقيدة، أو هي آخر ما نزل بالنسبة إلى سورة كاملة كما جاء في بعض الروايات: "آخر سورة أنزلت كاملة سورة براءة...". وفي رواية مسلم: "آخر سورة أنزلت تامة سورة التوبة"، أو أن سورة براءة من آخر السور القرآنية نزولاً.

ويجاب عن آية الكلالة أنها آخر ما نزل في شأن الفرائض. فهي آخريّة مقيدة، وقد جاء في بعض الروايات عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: "آخر سورة نزلت كاملة: براءة، وآخر سورة نزلت خاتمة سورة النساء ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾".

وعليه فيحتمل أن تكون الآخريّة في آية النساء مقيدة بما يتعلق بالمواريث. وقد تقدم كلام الحافظ ابن حجر - يرحمه الله - بنحو ما ذكر في آية الدين، وآية ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمَ﴾ تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٨١].

وقد تظهر بعض الإجابات مستفادة من الروايات الواردة المتعددة الألفاظ في كتب السنة، فتعين على تحديد المراد وتقييده بالمعنى المقصود دون غيره، وهذا من فائدة النظر في الأحاديث وعرض الروايات، والتأمل فيها، والجمع بينها، والعلم عند الله تعالى.

(١) تقدم تخريجه في الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم (القول السادس).



### القول السابع:

آخر ما نزل من القرآن الكريم سورة المائدة.

واستند أصحاب هذا القول إلى ما أخرجه أحمد، والحاكم وغيرهم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "آخر سورة نزلت المائدة فما وجدت فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدت فيها من حرام فحرموه"<sup>(١)</sup>.

وبما رواه الترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: "آخر سورة المائدة والفتح"<sup>(٢)</sup>. قال السيوطي في الإتقان: يعني بالفتح: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.

ووجه الدلالة في هذه الأحاديث ظاهرة لا تخفى.

ويُجاب عن هذا القول بأن سورة المائدة آخر سورة نزلت في الحلال والحرام، فلم تنسخ فيها أحكام، وعليه فهي أخرية مقيدة<sup>(٣)</sup>.

### القول الثامن:

آخر ما نزل من القرآن الكريم خاتمة سورة براءة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ [سورة التوبة: ١٢٨، ١٢٩].

واستدل القائلون بهذا القول بما رواه الحاكم عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: "آخر آية نزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ".... [الآيات، [سورة التوبة: ١٢٨، ١٢٩] (٤).

واستدلوا - أيضاً - بما أخرجه الإمام أحمد عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: "آخر آية نزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

(١) تقدم تخريجه في الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم (القول السابع).

(٢) تقدم تخريجه في الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم (القول السابع).

(٣) ينظر للزيادة: مناهل العرفان للزرقاني (٩٩/١)، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه (ص ١١٣).

(٤) تقدم تخريجه في الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم (القول الثامن).

أَنْفُسِكُمْ ﴿ ثُمَّ قَرَأَ إِلَى ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨، ١٢٩]. قال: هذا آخر ما نزل من القرآن... إلخ" (١).

ويجـاب عن هذا القول بأن هاتين الآيتين في خاتمة سورة براءة من آخر ما نزل في سورة براءة، فليس بآخر ما نزل على الإطلاق، فهو آخر مقيد بسورة براءة، ويؤيد ذلك ما روي عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - في هذا الشأن أنه قال: "أنهم جمعوا القرآن في خلافة أبي بكر. وكان رجال يكتبون، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا مَرْفُوعًا اللَّهُ قُلُوبُهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَتَّقُهُوْنَ﴾ [سورة التوبة: ١٢٧] ظنوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن. فقال لهم أبي بن كعب: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني بعدها آيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨، ١٢٩]."

فلعله يستفاد من هذه الرواية أنها آخر ما ختم به سورة براءة، أو أن أبي بن كعب - رضي الله عنه - أخبر بحسب ظنه واجتهاده. فهي آخريّة مقيّدة بخاتمة سورة براءة، وليس آخر ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق. والعلم عند الله تعالى.

(٢) هذا الأثر أورده السيوطي في الإقتان (١٨١/١) وعزاه إلى عبد الله بن أحمد في زوائد المسند، وابن مردويه، عن أبي - رضي الله عنه -، قال محققو الإقتان: في إسناده عمر بن شقيق الجرمي مقبول حيث يتابع. وأبو جعفر الرازي مشهور بكنيته صدوق سني الحفظ، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٨٠/٤) بعد أن ذكره من هذه الطريق: "وهذا غريب" - وضعفه - أيضاً - شعيب الأرنؤوط ومن معه في تحقيق المسند في تعليقهم على هذا الحديث. وينظر للزيادة: الدر المنثور للسيوطي (٦١٠/٧، ٦١١).

### القول التاسع:

آخر ما نزل من القرآن الكريم آخر سورة الكهف، قال تعالى: ﴿فَنَكَانَ رِجُولًا رَرِيَةً فَنَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا نَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّنَا أَمَّا﴾ الآية. [سورة الكهف: ١١٠].

واستدل القائلون بهذا القول بما روي عن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - أنه تلا هذه الآية: ﴿فَنَكَانَ رِجُولًا رَرِيَةً﴾ الآية. وقال: "إنها آخر آية نزلت من القرآن"<sup>(١)</sup>.  
ويجيب عن هذا القول بما أورده ابن كثير في تفسيره<sup>(٢)</sup> بعد أن ذكر هذه الرواية فقال: "وهذا أثر مشكل فإن هذه الآية آخر سورة الكهف، والكهف كلها مكية، ولعل معاوية - رضي الله عنه - أراد: أنه لم ينزل بعدها ما ينسخها، ولا يغير حكمها، بل هي مثبتة محكمة، فاشتبه ذلك على بعض الرواة، فروى بالمعنى ما فهمه، والله أعلم".

### القول العاشر:

آخر ما نزل من القرآن سورة النصر، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ الآيات.

واستدل القائلون بهذا القول بما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في صحيح مسلم وغيره قال: "آخر سورة نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾". وينحوه - أيضاً - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -<sup>(٣)</sup>.  
ويجيب عن هذا القول بأنها آخر سورة نزلت بتمامها، فلا ينافي نزول آية أو آيات بعدها.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٤١/١٥، ٤٤٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٧١٠/٩) - كما تقدم - في الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم (القول التاسع).

وقد تقدم قول السيوطي في الإتيان (١٨٤/١) عند هذا القول: "ومن غريب ما ورد في ذلك: ما أخرجه ابن جرير عن معاوية بن أبي سفيان أنه تلا هذه الآية: ﴿فَنَكَانَ رِجُولًا رَرِيَةً﴾ الآية. [سورة الكهف: ١١٠] وقال: إنها آخر آية نزلت من القرآن". فحكم عليها بأنها من غريب ما ورد. والعلم عند الله.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢١١/٩).

(٣) تقدم تخريجها في الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم (القول العاشر).

أو أنها آخر ما نزل مشعراً بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ويؤيد ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - حين سأله عمر - رضي الله عنه - بمحضر من الصحابة عنها، فقال: "أَجَلٌ، أَوْ مَثَلٌ ضَرَبَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُعَيِّنُ لَهُ نَفْسُهُ"<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى للبخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: "هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له".

فقال عمر - رضي الله عنه -: "ما أعلم منها إلا ما تقول...".

فهي آخريه مقيدة بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، أو أنها آخر ما نزل من السور فقط، وليس آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق. ويؤيد ذلك - أيضاً - النظر في الروايات الواردة وتنوع ألفاظها والاستفادة من دلالاتها، وذلك من خلال تعدد الروايات لهذا الحديث.

فقد جاء في رواية أخرى: "تدري آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعاً؟ قلت: نعم، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾"، قال: صدقت".

وفي رواية ابن أبي شيبه: "تعلم أي سورة، ولم يقل: (آخر)".

فهذا يدل على أنها آخر ما نزل من السور فقط، أو آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً.

فهي آخريه مقيدة في نزول سورة بتمامها، ولا يمنع من نزل القرآن بعدها فليست آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق، والعلم عند الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة النصر، رقم (٤٩٦٨).

(٢) ينظر للزيادة: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (١/٨٨٣، ١٨٤)، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (١٠٠/١)، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه (ص ١١٤).

### المبحث الثالث: الترجيح بين الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم

بعد عرض الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم والنظر فيها، والتأمل في جملة هذه الأخبار وكثرة الأقوال المذكورة في آخر ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق، يظهر جلياً أنه ليس في هذا الشأن أحاديث مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما هي آثار مروية عن الصحابة والتابعين أدركوها من مشاهدة التنزيل، أو تنوع الأحوال التي حضروها، فقد يسمع أحدهم ما لا يسمع الآخر، أو يغلب على ظن أحدهم ما لا يغلب على ظن الآخر فيكون حاصل القول من أحدهم بضرب من الاجتهاد أو غلبة الظن، فكثرت الأقوال والاحتمالات ودواعي الاشتباه من غير أن يقطع برأي، والعلم عند الله.

ويتضح جلياً - أيضاً - مع كثرة الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم أن تحديد وتعيين آخر ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق أصعب من تحديد القول في أول ما نزل من القرآن الكريم لكثرة الأقوال في النوع الثاني دون الأول، فالدائرة في تحديد آخر ما نزل من القرآن الكريم أوسع، والكل يجب بما ظهر له، أو بآخر ما سمعه في أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم.

والأهم من هذا كله أن العلم بهذا التحديد ليس من فرائض الدين حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط، وقد سبقت إلى هذا القول كما سيأتي بيانه - إن شاء الله - في ذكر أقوال أهل العلم في هذا الشأن.

وبعد هذه التوطئة في بيان الترجيح بين الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق فقد سبق عشرة أقوال في المراد، وعند بعضهم أكثر من ذلك، والذي تعضده الأدلة، وهو الراجح - والعلم عند الله - أن آخر ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٨١]. وهذا هو القول الأول في آخر ما نزل من القرآن الكريم وما سواه من الأقوال المذكورة - كما تقدم - أو آخر إضافية أو مقيدة كما يظهر للمتأمل في ألفاظ الروايات المذكورة في تحديد آخر ما نزل من القرآن الكريم.

وقد حظي هذا القول بجملة من الآثار المروية، وأقوال أئمة التفسير وعلوم القرآن الكريم دون غيره من الأقوال الأخرى.



وظفر هذا القول - أيضاً - بتحديد الوقت بين نزول هذه الآية الكريمة وبين وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأيام معدودة - كما تقدم - فنزول هذه الآية الكريمة قريب جداً من وفاته صلى الله عليه وسلم.

وما تشير إليه هذه الآية الكريمة في معناها إلى التذكير بتقوى الله - عز وجل - واليوم الآخر والرجوع إلى الله تعالى، فلزم الاستعداد له بالعمل الصالح ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

وهو أنسب الختام فيما يظهر، وأرجح ما قيل، والعلم عند الله تعالى. ومن المناسب ذكره في هذا المقام على وجه الخصوص أن بعض أهل العلم سلك رأياً آخر في تحديد المراد في هذا الموضوع، فيقول الباقلاني<sup>(١)</sup> في التوفيق بين هذه الأقوال المذكورة:

"وهذه الأقوال ليس في شيء منها ما رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ويجوز أن يكون قائله قائله بضرب من الاجتهاد، وتغليب الظن، وليس العلم بذلك من فرائض الدين، حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط.

ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه، أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو لمفارقته له، ونزول الوحي عليه بقرآن بعده.

ويحتمل أيضاً أن تنزل الآية، التي هي آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وسلم مع آيات نزلت معها، فيؤمر برسم ما نزل معها وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخراً وتلاوته، فيظن سامع ذلك أنه آخر ما نزل في الترتيب"<sup>(٢)</sup>.

وفي المدخل لدراسة القرآن الكريم يقول - أيضاً -:

"ولكن القاضي أبا بكر الباقلاني في كتابه "الانتصار" يذهب مذهباً آخر في التوفيق فيقول: هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكل قال ما

(١) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني البصري المالكي، المتكلم الأصولي، اشتهر بالرد على الرافضة والجهمية والمعتزلة، من مؤلفاته: الانتصار، وشرح اللمع وغيرها، توفي سنة (٤٠٣هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (٣٧٩/٥)، ووفيات الأعيان (٢٦٩/٤).

(٢) ينظر: الانتصار للقرآن (٢٤٦، ٢٤٥/١) بتصرف يسير.

قاله بضرب من الاجتهاد، وغلبة الظن، ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه، أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو.

ويحتمل أيضاً: أن تنزل هذه الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وسلم مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك، فيظن أنها آخر ما نزل في الترتيب.

ومرد هذا التوفيق بين الأقوال إلى غلبة الظن، والاجتهاد من القائل بناء على ما سمعه أو شاهده من قرائن، وقد لا يوافق الظن والاجتهاد الواقع ونفس الأمر، وقد تركنا صاحب هذا الرأي بين جملة من الاحتمالات، من غير أن يقطع برأي.

ويقرب من هذا الرأي في التوفيق ما ذهب إليه البيهقي - أيضاً - حيث قال: "يجمع بين هذه الاختلافات - إن صحت - بأن كل واحد أجاب بما عنده"<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه (ص ١١٥) بتصرف يسير. وينظر للزيادة أيضاً: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٠٠/١)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٨٤/١)، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (١٠٠/١).





### الفصل الثالث

#### فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم.

إن البحث في معرفة أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل يسفر ولا شك عن فوائد مهمة. وذلك بعد النظر والتحقيق في كلام أهل العلم، والتأمل في تلك الأقوال الواردة والآثار المذكورة في هذا النوع المهم من أنواع علوم القرآن الكريم، ولعل من أهم فوائد العلم بأول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم الآتي:

**الفائدة الأولى:** إظهار مدى العناية التي أحيط بها القرآن الكريم، حتى عرف فيه أول ما نزل، وآخر ما نزل، كما عرف مكيه ومدنيه، وكيفية نزوله ونحو ذلك... ولا ريب أن هذا مظهر من مظاهر الثقة به، ويدل على الاهتمام بكل ما يتعلق بالقرآن الكريم ضبطاً لسوره وآياته، وفي هذا كله ما يدل على سلامته من التغيير والتبديل والتحريف، يشهد له قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٢]، وقد توارث هذا الفضل والخير الخلف بعد السلف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فله الحمد والمنة.

**الفائدة الثانية:** معرفة تاريخ التشريع الإسلامي، وذلك بمعرفة الآيات التي نزلت في فرضية الأحكام الشرعية ومتى نزلت، فيعرف الزمان والمكان لهذه الفروض يمكن من خلاله ترتيبها ترتيباً تشريعياً فنقول: إن أول ما فرض الصلاة، ثم الزكاة... وهكذا في بقية التشريعات.

**الفائدة الثالثة:** معرفة التدرج في التشريع، فيتوصل إلى حكمة الله تعالى في أمور هذا الدين، وذلك مثل معرفة ترتيب الآيات التي نزلت في شأن تحريم الخمر مثلاً... والآيات التي نزلت في التشريعات التفصيلية فيستفاد من ذلك في العلم والتعليم والدعوة، فقد جاء القرآن الكريم لإصلاح العقيدة وتقويم السلوك، وإقامة الناس على الطريق الصحيح في العبادة والأعمال والأخلاق.

**الفائدة الرابعة:** معرفة علم الناسخ والمنسوخ، فإذا وردت آيتان أو أكثر في موضوع واحد، وحكم إحداهما يغاير الأخرى تغايراً لا يمكن معه الجمع، فنعرف أن المتأخر منها ناسخ للمتقدم، فيعلم بذلك الناسخ والمنسوخ من الأحكام والتشريعات، وعليه يمكن التمييز بين الناسخ والمنسوخ.

إلى غير ذلك من الفوائد في معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم<sup>(١)</sup>. ومن الأمثلة على تمييز الناسخ من المنسوخ حينما تقرأ في آيتين بحكمين مختلفين فإن معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل تعين على معرفة الناسخ من المنسوخ. ومثال ذلك: قوله تعالى في عدة المرأة المتوفى عنها زوجها: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْوَلَدِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٠]. فقد بينت هذه الآية أن العدة عام، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِثْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [سورة البقرة: ٢٣٤]. جعل العدة أربعة أشهر وعشراً. وإذا عرفنا أن هذه الآية هي آخر ما نزل عرفنا أنها هي النسخة. فتبين بذلك الحكم الشرعي في عدة المتوفى عنها. وبيان مدة عدتها<sup>(٢)</sup>.

ومن الأمثلة - أيضاً - ما ذكره النحاس<sup>(٣)</sup> عند سورة المائدة بقوله: "فقد اختلف العلماء في هذه السورة. فمنهم من قال: لم ينسخ منها شيء، ومنهم من احتج بأنها آخر سورة نزلت فلا يجوز أن يكون فيها منسوخ"<sup>(٤)</sup>.

فتبين من خلال أنها آخر سورة نزلت معرفة الناسخ من المنسوخ فيما عداها من السور القرآنية.

وقال - أيضاً - بسنده عند قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلُمًا﴾ [سورة الحج: ٣٩]. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : "أنه قرأ هذه الآية. قال: وهي أول آية نزلت في القتال".

قال النحاس: فكانت هذه ناسخة للمنع من القتال<sup>(٥)</sup>.

فالنحاس استخدم الأولية التي أوردها ابن عباس - رضي الله عنهما - في معرفة الناسخ من المنسوخ فقد كان فيه منع ثم حصل الإذن في أول آية نزلت في القتال، فهي ناسخة للمنع من القتال وهكذا.. .

(١) ينظر للزيادة. مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٩٢/١). والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه (ص ١٠١). ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص ٦٦، ٦٧).

(٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس (٧١، ٧٠/٢). وينظر للزيادة: النسخ في القرآن الكريم للدكتور: مصطفى زيد (٧٧٧، ٧٧٦/٢).

(٣) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو جعفر المعروف بابن المرادي المصري النحوي. ابن النحاس. له مؤلفات في علوم القرآن والأدب. توفي سنة (٣٣٨) هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٠١/١٥). طبقات المفسرين للدودي (٦٧/١).

(٤) ينظر: الناسخ والمنسوخ (٢٣٢/٢).

(٥) ينظر: المصدر السابق (٥٢٥/١). وينظر للزيادة: ما ذكره في سورة براءة (٤٠٨، ٣٩٦/٢). ونحو ذلك كثير.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تقضى الحاجات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً...  
وبعد:

فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها في خاتمة هذا البحث:

١. الأقوال الواردة في هذا النوع من أنواع علوم القرآن الكريم ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكل قال ما قاله بضرب من الاجتهاد، وغلبة الظن، أو أنه أخبر عن آخر ما سمعه من النبي ﷺ.
٢. إن الطريق إلى معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم مداره على النقل والتوقيف، ولا مجال للعقل فيه إلا بالترجيح بين الأدلة أو الجمع بينها فيما ظاهره التعارض منها.
٣. إن العلم بتحديد المراد في هذا النوع (أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل) ليس من فرائض الدين حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط.
٤. بيان اختلاف العلماء على أربعة أقوال في أول ما نزل من القرآن الكريم، والظاهر أنها تنحصر في قولين هما: صدر سورة العلق، وصدر سورة المدثر، والراجح - والعلم عند الله - أن أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق أول خمس آيات من سورة العلق.
٥. أن الذي أشكل على الكثير في تحديد أول ما نزل من القرآن الكريم هو ظاهر التعارض بين الحديثين الواردين في هذا الباب، وهما في الصحيحين (حديث جابر، حديث عائشة) رضي الله عنهما، والتحقيق في القولين أنهما غير متعارضين.
٦. بيان اختلاف العلماء على أقوال عديدة في آخر ما نزل من القرآن الكريم أوصلها بعض أهل العلم إلى عشرة أقوال أو أكثر، والذي تعضده الأدلة، وهو أكثر قولاً من غيره أن آخر ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق قوله تعالى: ﴿وَأَنقَضُوا يَوْمَآ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٨١].  
للمرجحات المذكورة - كما تقدم بيانه -.

٧. إن المتأمل في بعض روايات الأحاديث والآثار الواردة في تحديد أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم يظهر له جلياً تقييد المعنى الذي ورد مطلقاً في الروايات الأخرى، وبهذا التأمل يمكن الجمع بين هذه الروايات، وهذا من فائدة النظر في الأخبار والروايات الواردة في كتب السنة في هذا الشأن على وجه الخصوص.

٨. إن أولية نزول القرآن الكريم وأخريته تارة تكون على الإطلاق أي: بالنسبة للقرآن الكريم كله، وهذا هو المراد في البحث، وتارة تكون مقيدة بموضوع معين وذكر أول وآخر ما نزل فيه، أو بمكان خاص وذكر أول وآخر ما نزل به، أو بسورة معينة بذكر أول وآخر ما نزل منها، وهكذا... وعليه فالأولية والآخرة إما مطلقة أو مقيدة.

٩. الأقوال الواردة في أول ما نزل من القرآن الكريم أقل من الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن الكريم، وعليه فالاختلاف في آخر ما نزل أوسع بكثير من الاختلاف في أول ما نزل، فكثرت الأقوال، وتعددت الآراء، والكل مجتهد في نقل ما يظنه أولاً أو آخراً في نزول القرآن الكريم.

١٠. من فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم تمييز الناسخ من المنسوخ، وظهور مدى العناية والاهتمام بكل ما يتعلق بالقرآن الكريم ضبطاً لسوره وآياته، وبيان عظمة التشريع الإسلامي في تدرج أحكام التشريع.

وفي الختام أحمد الله الذي وفقني لإتمام هذا البحث، وأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، ويكتب الأجر والثوبة، ويعفو عن الخطأ والزلل إنه جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

\* \* \*

## قائمة المصادر والمراجع

### ١- القرآن الكريم.

- ٢- الإتيان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تقديم وتعليق الدكتور: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.
- ٣- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت.
- ٤- أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٥- الإصابة في تمييز الصحابة، لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق الدكتور: عبدالله التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- ٦- الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية عشر، ١٩٩٧م.
- ٧- الانتصار للقرآن، للفاضل أبي بكر الباقلاني، تحقيق الدكتور: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- ٨- البداية والنهاية، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ٩- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- ١٠- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١١- التحبير في علم التفسير، لجلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور: فتحي فريد، دار العلوم، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ١٢- التحرير والتنوير، لمحمد بن عاشور، دار سحنون، تونس.
- ١٣- تذكرة الحفاظ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- ١٤- تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

- ١٥- تقريب التهذيب، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عناية: محمد عوامة، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- ١٦- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله هاشم المدني، شركة الطباعة الفنية، القاهرة ١٣٨٤هـ.
- ١٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ١٨- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- ١٩- الجامع المختصر من السنن، (جامع الترمذي) للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- ٢٠- الجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخاري) للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- ٢١- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، عناية: هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- ٢٢- الجامع لشعب الإيمان، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق وتخريج الدكتور: عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ٢٣- جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي، تحقيق الدكتور: علي بن حسين البواب، مكتبة التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ٢٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
- ٢٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ٢٦- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تأليف الإمام: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ٢٧- ذيل مرآة الزمان، لقطب الدين موسى اليونيني، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
- ٢٨- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.
- ٢٩- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي، جامعة الشارقة (مجموعة رسائل جامعية)، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- ٣٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، تأليف محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٣١- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ٣٢- سنن ابن ماجه، تصنيف أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (الشهير بابن ماجه) حكم وتعليق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.
- ٣٣- سنن الترمذي، تصنيف الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.
- ٣٤- سنن الدارقطني، للحافظ علي بن عمر الدارقطني، إشراف الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- ٣٥- سنن الدارمي، للحافظ أبي محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن المعروف بالدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، طبعة دار الريان، القاهرة ١٤٠٧هـ.
- ٣٦- السنن الكبرى، للإمام أبي بكر بن الحسين البيهقي، دار الفكر، بيروت.
- ٣٧- السنن الكبرى، للإمام أبي عبدالرحمن بن شعيب النسائي، إشراف: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- ٣٨- سنن النسائي، تصنيف أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، حكم وتعليق: محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.
- ٣٩- السنن، (سنن ابن ماجه)، للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد الربيعي ابن ماجه القزويني، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- ٤٠- السنن، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (سنن أبي داود)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

- ٤١- سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.
- ٤٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي المشهور (بابن العماد) تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٤٣- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- ٤٤- طبقات الحفاظ، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق الدكتور: علي بن محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٤١٧هـ.
- ٤٥- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق الدكتور: محمود الطناحي، والدكتور: عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
- ٤٦- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، دار التحرير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ.
- ٤٧- طبقات المفسرين، تصنيف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ٤٨- طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
- ٤٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار السلام للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- ٥٠- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.
- ٥١- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، ترتيب: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٥٢- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) لأبي إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي، دراسة وتحقيق: محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.



- ٥٣- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، لنجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ٥٤- مباحث في علوم القرآن، تأليف: مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثامنة ١٤٠٨هـ.
- ٥٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ.
- ٥٦- المحرر الوجيز، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ٥٧- المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان الطيار، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- ٥٨- مدخل إلى علوم القرآن والتفسير، تأليف الدكتور: فاروق حمادة، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- ٥٩- المدخل لدراسة القرآن الكريم، للدكتور: محمد محمد أبو شهبه، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ٦٠- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تأليف شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (المعروف بأبي شامة المقدسي) تحقيق الدكتور: طيار آلتى قولاج، دار وقف الديانة التركي للطباعة والنشر، أنقرة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- ٦١- المستدرک على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.
- ٦٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، إشراف الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
- ٦٣- المسند الصحيح المختصر من السنن (صحيح مسلم) للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- ٦٤- مصنف ابن أبي شيبة، للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٦٥- معالم التنزيل (تفسير البغوي) للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: مجموعة من المؤلفين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

- ٦٦- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. للإمام شمس الدين أبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق الدكتور: طيار ألتى قولاج، منشورات مركز البحوث الإسلامية، تركيا، الطبعة الأولى.
- ٦٧- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٦٨- المكي والمدني في القرآن الكريم، تأليف: الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٦٩- المكي والمدني في القرآن الكريم، تأليف: عبدالرزاق حسين أحمد، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٧٠- مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٧١- الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل، واختلاف العلماء في ذلك، تأليف: أبي جعفر أحمد بن النحاس، تحقيق الدكتور: سليمان الاحم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٧٢- نزول القرآن الكريم، تأليف الدكتور: محمد بن عبد الرحمن الشايع، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٧٣- النسخ في القرآن الكريم، تأليف الدكتور: مصطفى زيد، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
- ٧٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، إشراف وتقديم: علي بن حسن عبد الحميد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.
- ٧٥- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق مجموعة من المؤلفين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٧٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

\* \* \*